# الهدف لا شيء

محمود سالم

# الهدف لا شيء

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

# الهدف لا شيء

محمود سالم

**الناشر مؤسسة هنداوي**
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
**تليفون:** ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
**البريد الإلكتروني:** hindawi@hindawi.org
**الموقع الإلكتروني:** https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

---

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ١ ٢٥٦٦ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

# المحتويات


| | |
|---|---|
| من هم الشياطين الـ «١٣»؟ | ٧ |
| أبطال هذه القصة | ٩ |
| ماذا يفعل هذا الرجل في القاهرة؟ | ١١ |
| رصاصتان في نفس الوقت | ١٥ |
| صناديق للسفارة الإيطالية | ٢١ |
| مغامرات الشوارع | ٢٧ |
| أحيانًا تحت الأرض | ٣٣ |
| عندما تنام الشياطين | ٣٩ |
| الهدف ... خمسون مليونًا | ٤٥ |

# من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

# أبطال هذه القصة

**رقم «١»:** «أحمد» من مصر.

**رقم «٢»:** «عثمان» من السودان.

**رقم «٣»:** «إلهام» من لُبنان.

**رقم «٤»:** «هدى» من المغرب.

**رقم «٥»:** «بو عمير» من الجزائر.

**رقم «٦»:** «مصباح» من ليبيا.

**رقم «٧»:** «زبيدة» من تونس.

**رقم «٨»:** «فهد» من سوريا.

**رقم «٩»:** «خالد» من الكويت.

**رقم «١٠»:** «ريما» من الأردن.

**رقم «١١»:** «قيس» من السعودية.

**رقم «١٢»:** «باسم» من فِلَسطين.

**رقم «١٣»:** «رشيد» من العراق.

**رقم «صفر»:** الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقتَه أحد!

# ماذا يفعل هذا الرجل في القاهرة؟

كان «أحمد» يجلس على المقهى كأي شخصٍ آخر، بجواره كوبٌ من الشاي الأسود، وفي عينيه نظرةٌ هادئةٌ كسول، نظرات شخصٍ لا يجد ما يفعله؛ فهو يُضيع وقته على المقهى ... وعلى المائدة الصغيرة التي بجواره كان هناك صندوق أحذيةٍ عادي جدًّا ... وأي شخصٍ يرى هذا الصندوق سيظن على الفور — ومعه حق — أن هذا الشاب الوسيم قد اشترى حذاءً جديدًا ... ومن الذي سيشك في صندوق أحذية؟

والحقيقة أن هذا الصندوق كان يستحقُّ الشك؛ فهو لم يكن صندوقًا عاديًّا للأحذية، لقد كان مجموعة أشياء في وقتٍ واحد، فهو جهاز تسجيلٍ، وكاميرا تصوير، ومرآةٌ عاكسةٌ ... وكان «أحمد» يضع يدَه على الصندوق في كسلٍ واسترخاءٍ، ولكن الحقيقة أنه كان يُدير بعض الأزرار الخفية؛ لتشغيل الكاميرا، فبعد جهودٍ استمرت ثلاثة أسابيع متصلةٍ، استطاع في النهاية أن يعثر على دليلٍ في قضيةٍ من أخطر القضايا التي قام الشياطين الـ «١٣» بحلها.

وكان هذا «الدليل» رجلًا قصير القامة، أحمر الوجه، يرتدي ملابس عادية، ويضع نظارةً طبيةً على عينَيه، ويجلس في نهاية المقهى يقرأ جريدته باهتمامٍ شديد، وربما كان هذا هو الخطأ الوحيد الذي وقع فيه ... فليس من المعتاد أن يقرأ الإنسان جريدته الصباحية باهتمامٍ في الساعة الواحدة ظهرًا، أي بعد شرائها بساعات ... لقد كان من الواضح أن الرجل يُخفي وجهه قدْر الإمكان، ولكن العدسة القوية في صندوق الأحذية كانت تُصوره من زاوية لا يمكن أن يُخفي وجهه فيها، وترصد كل حركةٍ من حركاته. وقد كان الحصول على هذا الفيلم مُهمًّا جدًّا، ليس للرجل نفسه، ولكن لمن سيأتي لمُقابلته.

كان الرجل يشرب فنجانًا من القهوة، وقد وضع علبة سجائره أمامه ... والخطأ الثاني الذي وقع فيه أنه لم يُشعل منها سيجارةً واحدة؛ فمن المؤكد إذن أنها ليست علبة سجائر

... وقد صَدَق ظنُّ «أحمد»، فقد ظهر بائع سجائر أخذ يتحدَّث مع الرجل لحظاتٍ يعرض عليه بعض أنواع السجائر، ثم التقط العلبة الفارغة، ووضع مكانها علبةً من نفس النوع ... واختفى وهو ينادي على بضاعته «سجائر ... سجائر.»

وابتسم «أحمد»، لقد وقع صيدٌ ثمينٌ ... ولكن ابتسامته لم تستمر طويلًا، فقد حدثت ضجةٌ مفاجئةٌ خلفه ... اصطدم شخصٌ بالجرسون، وهو يحمل أكواب الشاي، وفناجين القهوة، وأكواب الماء، وسقط كل ذلك على الأرض بجوار «أحمد» تمامًا مُحدثًا ضجةً عالية، دعت «أحمد» إلى الالتفات إلى ما يحدُث خلفه ... وشاهد الجرسون التعِس ووجهه يتصبَّب عرقًا، والرجل الذي اصطدم به، يُربِّت على كتفه مُعتذرًا وهو يُخرج من جيبه محفظةً منتفخةً.

كانت الثواني القليلة التي انشغل فيها «أحمد» بحادث سقوط صينية القهوة والشاي والمُثلجات كافيةً لكي تحدُث أشياء كثيرة ... فعندما التفت ونظر إلى صندوق الأحذية الثمين وجدَه قد اختفى.

وعندما نظر إلى الرجل الذي كان يُراقبه وجده قد اختفى.

وعندما التفت إلى الرجل الذي اصطدم بالجرسون وجده قد اختفى أيضًا.

كانت ثلاث صدماتٍ قاسية ... وأحسَّ «أحمد» — ربما لأول مرةٍ منذ أن اشتغل بالعمل السري — أنه تافِه جدًّا، وأن كل التدريبات التي تلقَّاها كانت عبثًا، وأنه شديد الغباء؛ فلقد أضاع الْتِفاتُه إلى الصينية التي وقعت عملًا استمر ثلاثة أسابيع مُتصلةٍ من المراقبة والاستنتاجات، هو و«عثمان» و«إلهام» و«ريما».

وقفز من مكانه مُسرعًا، واتجه إلى باب المقهى الذي يُطلُّ على شارع ٢٦ يوليو. وخُيِّل إليه أنه يرى رجلًا يُسرع في المَشي، يرتدي نفس الملابس التي كان يلبسها الرجل الذي افتعل حادث الاصطدام بالجرسون ... وأطلق «أحمد» لساقَيه العنان وراءه.

ورغم أن التعليمات كانت تقضي بالمُراقبة فقط، إلا أنه قرَّر أن يلتحِم بالرجل فورًا ... وأمام ازدحام الرصيف، قرَّر النزول إلى أرض الشارع والجري وسط السيارات، ولكنه لم يكد يضع قدَمه على أرض الشارع حتى فُوجئ بسيارةٍ مندفعةٍ تأتي من خلفه وتكاد تصطدم به ... ولم ينقذه من موتٍ مُحققٍ إلا أنه رمى نفسه على الرصيف، وللأسف أنه ارتطم بسيدةٍ أوقعها على الأرض بين صيحات المارة.

وهكذا وجد «أحمد» نفسه مُلقًى على أرض الشارع، وقد اتَّسخت ثيابه، وضاع منه الصندوق الثمين الحافل بالمعلومات، وضاعت جهود المُراقبة التي استمرَّت كل هذه الأيام.

قام «أحمد» واقفًا يُنظِّف ثيابه أمام نظرات المارة المُستطلِعة، وأحسَّ بأعصابه تشتعِل، وكان ذلك خطأً آخر؛ فليس من أصول العمل الغضب في وقتٍ يحتاج إلى تفكيرٍ هادئٍ عميق.

عاد إلى داخل المقهى فدفع حسابه، ثم خرج من طريقٍ جانبيٍّ أدَّى به إلى شارع «شريف» ... كان الزحام على أشُدِّه في هذه الساعة، فأخذ يتلوَّى بين المارة، وهو يفكر فيما ينبغي عليه عمله بعد هذه الهزيمة المُنكرة، وسرعان ما وجد نفسه أمام عمارة «الإيموبيليا» الضخمة، حيث كانت «إلهام» و«عثمان» في انتظاره في الكافيتريا أسفل العمارة.

وعندما ظهر في مدخل الكافتيريا بدت نظرة دهشة شديدة في عينَي «إلهام»، لأنها بالطبع لم ترَ صندوق الأحذية معه؛ هذا الصندوق المُهم جدًّا الذي يُعتبَر من أهم ابتكارات المقر الرئيسي للشياطين الـ «١٣» (ش. ك. س).

كان وجه «أحمد» هادئًا رغم العاصفة التي كانت تدور في رأسه، وأخذ مقعدًا وجلس، وقال في كلماتٍ سريعةٍ قاطعةٍ: وقعت في كمينٍ دبَّره «نوكلوز» ... كنت أقوم بمُهمتي في مراقبة العميل الصغير، عندما اصطدم شخصٌ بالجرسون خلفي، وأسقط كل ما يَحمِله من أكوابٍ وفناجين، والتفتُّ دون وعيٍ لأرى ما يدور خلفي، وعندما استدرتُ كان صندوق المراقبة قد اختفى، واختفى العميل الصغير، واختفى الرجل الذي اصطدم بالجرسون.

صمت «أحمد»، ولم تعلق «إلهام» ولا «عثمان»، كانت هزيمةً غير متوقعةٍ لهم جميعًا ... وبعد أن مرَّت لحظات قالت «إلهام»: لا تترك نفسك فريسة للغضب والتأنيب ... المُهم الآن أن نفكر فيما يجب عمله.

قال «عثمان»: لقد اتضح أن صديقنا «نوكلوز» أذكى كثيرًا مما تصورنا.

وسكت «عثمان» قليلًا ثم أضاف: وبالطبع سأقوم مرة أخرى بالعمل.

لم يتمالك «أحمد» نفسه من الابتسام، فقد قام «عثمان» و«ريما» بالعمل في إحدى الصيدليات، وعن طريق هذا العمل بدأ الوصول إلى أول خيطٍ في العملية ... كانت «ريما» تقوم بعمل مُساعِدة مَعملٍ فهي تُجيد مزْج الكيماويات، ولها دراسةٌ مُتقدمةٌ في هذا المجال، بينما كان «عثمان» يقوم بعمل مُمرضٍ لإعطاء الحقن ... وعن طريق «ريما» و«عثمان» استطاع الشياطين دخول منزل أحد أفراد عصابة «نوكلوز» ... وقد أطلقوا هذه التسمية على أغرب رئيس عصابة سمعوا عنه؛ فهو رجلٌ ارتكب العشرات من أضخم السرقات في العالم، دون أن يترك وراءه دليلًا واحدًا، حتى أصبح يعيش وينعم بحريته دون أن تستطيع أية دولةٍ في العالَم أن تمسكه ... بل أكثر من هذا، أنه أصبح شخصيةً اجتماعيةً معروفة، ينتقل من مكانٍ إلى آخر دون أن تعترضه أية صعوباتٍ ... وكان رجال الشرطة

في كل مكانٍ يتحرَّقون شوقًا للقبض عليه، ولكن لم يكن هناك دليلٌ واحد ضدَّه، وهكذا أصبح هذا المجرم العجيب يتمتع بما يتمتع به الشرفاء.

ولكن حدَث أنه بدأ نقْل جزءٍ من نشاطه إلى منطقة «الشرق الأوسط»، ووصلت أخباره إلى رقم «صفر»، ولمَّا كان الشياطين الـ «١٣» بلا عملٍ، فقد طلب منهم رقم «صفر» أن يتدخَّلوا لإيقاف هذا الرجل عند حدِّه، وهكذا انتقل أربعة منهم من «ش. ك. س» إلى «القاهرة»، لبدء التحريات التي أدَّت إلى العثور على رجلٍ مريض من أعضاء عصابة «نوكلوز»، وعن طريقه بدأ الشياطين يجمعون المعلومات عن نشاط العصابة. ولكن كل ذلك انقطع فجأة بما حدث لـ «أحمد» على المقهى.

كان «أحمد» يفكر في كل هذا وهو يشرب كوبًا من الشاي، وينظر إلى الشارع ... لقد جاءوا إلى «القاهرة» خلف عصابةٍ لا يعرفون هدفها بالضبط. كل ما حدث أنَّ زعيم هذه العصابة وصل إلى «القاهرة»، وقام بعدة اتصالاتٍ مشبوهةٍ، ثم غادرها، وترك خلفه بعض أعوانه ممَّن لا غبار عليهم، وكانوا جميعًا تحت رقابة الشرطة، ولكنَّ أحدًا منهم لم يقُم بأي نشاطٍ مشبوهٍ ... وفجأة اختفى هؤلاء الأعوان، وعددهم ثلاثة، ولم يبقَ لهم أثرٌ، ومن المؤكد أنهم لم يُغادروا البلاد؛ وإلَّا لعرف رجال الشرطة، وبقية أجهزة الأمن أين ذهبوا ... كل ما هنالك أنهم اختفوا فجأةً ولم يتركوا خلفهم — تمامًا على طريقة زعيمهم — أيَّ دليلٍ، أو أثرٍ يدلُّ على مكان وجودهم ... وكإجراء رُوتينيٍّ جدًّا، وصل إلى رقم «صفر» تقريرٌ عن مستر «نوكلوز» وزيارته للقاهرة، واجتماعاته ثم سفره، ثم اختفاء أعوانه الثلاثة.

وقرَّر رقم «صفر» أن يعهد إلى الشياطين بالبحث عنهم في «مصر»، فحضر إلى «القاهرة» أربعة من الشياطين هم «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» و«ريما» ... وبدءوا عملية بحثٍ شاقةً بناء على الأوصاف التي عندهم عن الرجال الثلاثة، وقد عرفوا أن أحدهم مريض بالسُّكَّر ويتعاطى حقنة يومية من «الأنسولين». وهكذا قام «عثمان» و«ريما» بالالتحاق بالعمل في عددٍ من الصيدليات، وأخذ الشياطين الأربعة يتابعون كل مُشتر «للأنسولين» حتى منزله ... وفي خبطةِ حظٍّ موفقةٍ عثر «عثمان» على أحد الرجال الثلاثة، وكان قد أطال ذقنه، وارتدى الملابس العربية، وأخذ يُنفق ببذخٍ حتى ظنَّ الجميع أنه من الأثرياء العرب، وسمَّى نفسه «وليد بن نبهان»، ولكن «عثمان» كشفه عن طريق إحدى أُذنيه التي كانت أُذنًا صناعية ... وهكذا بدا أول الخيط الذي انقطع اليوم بحادث المقهى.

كان «أحمد» يفكر في كل هذا ويُحس بأسفٍ وألمٍ حقيقيَّين.

# رصاصتان في نفس الوقت

عاد الشياطين الثلاثة إلى المقر السِّرِّي للشياطين الـ «١٣» قُرب ميدان «السد العالي» في «الدقي»، وكانت بانتظارهم «ريما» الأردنية. ومن النظر إلى وجوه الشياطين الثلاثة عرفَتْ أن ثمة أخبارًا سيئة، وكالعادة، جلس الشياطين الأربعة معًا، وقدَّم «أحمد» مُلخصًا سريعًا للموقف، فقالت «ريما» مُعلقةً: ولماذا أنت آسِفٌ وحزينٌ إلى هذا الحدِّ يا «أحمد»؟ إن طرف الخيط ما زال في أيدينا؛ فالرجل المريض بالسكَّر ما زال موجودًا، وأنا ما زلتُ أعمل في الصيدلية، و«عثمان» يعمل بمهنة الممرض، وسوف نلتقِط طرف الخيط مرة أخرى.

قال «أحمد»: شكرًا لكم جميعًا على محاولتكم التهوين من خطئي ... ولكن المشكلة أننا سنُضيع وقتًا إضافيًّا حتى نصِل إلى طبيعة نشاط العصابة، وما أخشاه أن تُفلت العصابة من أيدينا، قبل أن نصِل إليها.

ريما: دعْنا نأمُل خيرًا ... والآن، استمعوا إلى هذا التقرير من رقم «صفر».

بدا الاهتمام على وجوه الشياطين الثلاثة وقال «أحمد»: ومتى وصل؟

ريما: منذ لحظاتٍ قليلةٍ. وفي الواقع، إنه على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية، وربما كان فيه ما يكفي للكشف عن العصابة من ناحية أخرى.

أحمد: عظيم. دعونا نسمع.

بدأت «ريما» في قراءة التقرير ...

**من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»**

- «وصلتني معلومات هامة عن عصابة «نوكلوز»؛ لقد انضم إليها جزء من عصابة «ورلد ماستر»، وبهذا أتنبَّأ أن العملية التي ستُقدِم عليها

العصابة من أضخم العمليات التي واجهتنا، وإن كنَّا لا نعلم ما هي بالضبط.

- ستختفي العصابة وراء واجهات مُحترمة جدًّا، وليس من المُستبعد أن تقوم بالتقدُّم لمشروعاتٍ ضخمةٍ من المشروعات التي تهمُّ البلاد حتى لا يشك فيها أحدٌ.
- ضمن الذين اختارتهم العصابة للعملية الغامضة عالمٌ اقتصاديٌّ كان من أبرز علماء أوروبا، ثم اتُّهم في عدة عملياتٍ مشبوهةٍ، مما أدَّى إلى مُحاكمته وطرده من مناصبه، هو البروفيسير «س. ستيبلدون»، وهو مُستشار العصابة للشئون الاقتصادية؛ لهذا أُرجح أن العملية اقتصادية كما يتَّضح من النقطة ٢.

شحَنت العصابة إلى البلاد مجموعةً كبيرةً من الآلات، وستصِلكم معلوماتٌ دقيقةٌ عن نوع هذه الآلات والأغراض التي يُمكن أن تقوم بها.

- هذه العصابة من النوع الذي لا يلجأ إلى العنف إلا عند الضرورة، فهي تُحب أن تمرَّ عملياتها ببساطةٍ وفي نطاقٍ مشروعٍ، لهذا فمن الصعب جدًّا اكتشافها.
- بالطبع فإن كل هؤلاء الأشخاص يتحرَّكون بأسماءٍ مستعارةٍ، وبعضهم قد يُغيِّر من شكله بوسائل شتَّى، وسأُرسل لكم صورًا لهم في التقرير التالي ... مع أية معلوماتٍ قد تكون مُفيدةً لكم.»

وتوقفت «ريما» لحظاتٍ ثم مضت تقرأ: «إنني مُهتمٌ جدًّا بالمعلومات التي أرسلتموها عن الرجل المريض بالسكَّر، والأثر الذي وضعكم خلف العصابة، فما هي آخر المعلومات؟»

مع تحياتي وتمنياتي بالتوفيق ...

رقم «صفر»

قال «أحمد» على الفور: أرجو أن تُرسلي ردًّا عاجلًا على السؤال الأخير، وقولي لرقم «صفر» عن الفشل الذي أصابني.

صمت الجميع ونظروا إلى «أحمد»؛ كان واضحًا أنه متأثرٌ جدًّا بما حدث له، وأنه لا يستطيع أن يغفر لنفسه الخطأ الذي وقع فيه. وعلى الفور قامت «إلهام» إلى غرفة اللاسلكي، وأرسلت تقريرًا إلى رقم «صفر» بكل ما حدث ... كانت تعرف أن هذا الإجراء سوف يمنح «أحمد» بعض الراحة.

وعندما عادت «إلهام» كان الحديث يدور حول استئناف «ريما» و«عثمان» لعملِهما في الصيدلية، ومحاولة العثور على طرف خيطٍ جديدٍ للعصابة ... واستقر الرأي على أن يقوم الباقون، وهم «أحمد» و«إلهام»، بالتجوُّل بالسيارات في شوارع القاهرة، علَّهم يصِلون إلى شيءٍ يقودهم إلى العصابة الغامضة.

في المساء كان «عثمان» يقف في الصيدلية يُلبِّي طلبات الزبائن، وفي الثامنة مساء موعد حقنة السيد «وليد بن نبهان». انطلق «عثمان» على درَّاجته في شوارع «الدقي»، حتى وصل إلى أحد الشوارع الرئيسية، وأمام المنزل رقم ١٦ توقف ثم ركن درَّاجته، وصعد في المصعد إلى الدور السادس حيث يُقيم «وليد»، وعندما ضغط جرس الباب فتح له الباب رجلٌ غريبٌ الشكل لم يرَه «عثمان» من قبل، فقال له «عثمان»: لقد جئتُ لإعطاء حقنة للسيد «وليد».

ردَّ الرجل: نعم، نعم ... إنه في انتظارك.

دخل «عثمان» وأغلق الرجل الباب، ثم طلب من «عثمان» الانتظار في الصالة قليلًا لحين إخطار «وليد» بحضوره ... واختار «عثمان» كرسيًّا يمكن منه رؤية ما يحدث داخل الشقة؛ فقد أحسَّ بجوٍّ غريب ... مضت لحظات ثم ظهر الرجل وقال: تفضل.

حمل «عثمان» حقيبته السوداء الصغيرة التي يضع فيها أدوات الحقن، ثم دخل غرفة «وليد»، ووجده راقدًا مكانَه ينظر إليه في هدوء ... قال «عثمان»: السلام عليكم.

ردَّ الرجل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ووضع «عثمان» الحقيبة على مائدةٍ صغيرةٍ في طرف الغرفة، وانحنى ليُعدَّ الحقنة، عندما أحس بشيءٍ مُدببٍ يندسُّ في ظهره، وسمع صوتًا يقول في تهديدٍ: دعْ كلَّ شيءٍ مكانه.

رغم كل الحركات والتصرُّفات التي درسها «عثمان» في المقر السري في التغلُّب على مثل هذا الموقف، فقد أدرك أنه أمام معركةٍ خاسرةٍ؛ ففي نفس الوقت الذي أحسَّ فيه بفوهة المسدس، رأى «وليد» يُخرج مسدسًا آخر من تحت المخدة، ويُصوِّبه بإحكامٍ إلى «عثمان». ولم يبقَ أمامه إلَّا الاستسلام، واللجوء إلى المراوغة فقال: ما هذا؟

ردَّ «وليد»: إنك تعرف جيدًا ما هذا ... لقد تعرَّض أحد زملائي لمراقبة من شابٍّ مثلك لا أشك لحظة أنه صديقك، وقد اكتشفنا المُراقبة وأخذْنا منه صندوقًا عجيبًا لم نرَ له مثيلًا من قبل، مما يدلُّ على أنكما تتبعان منظمةً قوية.

عثمان: ما هذا الهراء الذي أسمعه؟ من هو الرجل المراقَب؟ ومَن هو الصديق الذي تتحدَّث عنه؟ وما هي حكاية الصندوق هذه؟

ضاقت عينا «وليد» حتى أصبحت مثل عينَي الثعبان، وقال: اسمع يا بني ... ليس عندنا وقتٌ طويلٌ نُضيعه معك، لقد استطعتَ عن طريقي أن ترصُد تحركات بعض زملائي، وأنا مُعرضٌ لأن أدفع حياتي ثمنًا لهذا الخطأ الذي ارتكبته، وليس هناك حلٌّ لإنقاذي إلا أن تعترف.

أخذ «عثمان» يفكر في هذا الموقف الدقيق ... مُسدسان أحدهما أمامه والآخر خلفه ... واتهام واضحٌ حقيقيٌّ بأنه استطاع اختراق أسرار العصابة، ومعرفة بعض أفرادها ... وتصميم من «وليد» على أن يعترف بالحقيقة.

وأحس بالمسدس الذي في ظهره ينغرس أكثر في لحمه ... بالطبع كان من المُستحيل أن يعترف ويقول من هو، مُستحيل أن يتحدَّث عن الشياطين الـ «١٣»، وليس أمامه إلا أن يُحاول ... وقدَّر موقف الرجل الذي خلفه واتجاه مسدسه، والرجل الذي أمامه واتجاه مسدسه. وأدرك أن المُسدَّسَين مصوَّبان في اتجاهٍ واحد، وأنه لو استطاع أن يمرق من بينهما ربما استطاع الخلاص.

وبحركة نادرة نفَّذ «عثمان» فكرته. فقد ارتمى على الأرض مُتجهًا إلى ما تحت فراش الرجل المريض، وفي نفس الوقت أصاب الرجل الذي خلفه ... وانطلقت رصاصتان في وقتٍ واحد، وشاهد «عثمان» وهو يرتمي على الأرض وجه «وليد» وقد أصابه الذهول، فقد أصابته الرصاصة إصابةً مباشرةً في قلبه فانكفأ على وجهه.

اختفى «عثمان» تحت الفراش، وسمع رصاصةً ثالثة تنطلِق في اتِّجاهه ... كان المُسدسان كاتِمَين للصوت، فلم يكن صوت الرصاصة يزيد على صفيرٍ سريعٍ مثل فحيح الأفعى ... وانطلقت رصاصةٌ رابعة مرَّت بجوار ذراعِه، وأدرك أنَّ الرجل انحنى؛ ليضربه، فاتَّجه إلى الناحية الثانية للفراش، ثم استجمع قواه، وحمل الفراش على ظهره، وألقاه بكل قوةٍ على الرجل، وحدثت ضجةٌ ضخمةٌ!

وقفز «عثمان» إلى الباب مُسرعًا، ثم التفت خلفه ... رأى الرجل يُصوِّب إليه مُسدسه وهو تحت المراتب التي سقطت فوقه، وبسرعة قفز خارج الحجرة راميًا نفسه على الأرض في نفس الوقت، وصفرت الرصاصة فوق رأسه، وتدحرج «عثمان» سريعًا، ثم وقف واقتحم إحدى الغُرَف ثم أغلق بابها خلفه، ووقف يلهث وهو ينظر حوله ...

ظل «عثمان» واقفًا فترة طويلة دون أن يُحدث صوتًا، أو يسمع أي صوت، ففتح الباب فتحة صغيرة ونظر إلى الصالة ولم يجد أحدًا، ومدَّ بصره إلى الغرفة التي دار فيها

الصراع فلم يرَ شيئًا، ولكنه سمع أصواتًا تأتي من ناحية باب الشقة، واستمع باهتمامٍ، كان صوت أشخاص يتحدَّثون ويقفون أمام الباب. ودُهش أن الباب مفتوح!

كان الموقف حرجًا ... فهناك قتيلٌ في الشقة، ولو حدث أن دخل أي شخصٍ الآن فإنه هو سيكون المُتهم الوحيد، وحتى لو لم يكن مُتهمًا فسيدخل في مشكلةٍ مُعقدةٍ مع الشرطة، وهو شيءٌ يتجنَّبه الشياطين الـ «١٣» دائمًا حتى لا تنكشف شخصياتهم.

خرج «عثمان» مُحاذرًا من الغرفة، وظل يسير بجوار الجدار حتى وصل إلى الصالة، وبالفعل وجد الباب مفتوحًا، وشاهد بعض الأشخاص يقفون في انتظار المصعد ... ظلَّ مُتسللًا حتى اقترب من الباب الخارجي ثم دفعه بقدمِه فأغلقه، وسار مُحاذرًا إلى الغرفة التي دار فيها الصراع ... كانت مُضاءةً وفارغةً. لم يكن فيها إلا الرجل القتيل، والسرير المقلوب ... واندفع «عثمان» إليها وأخذ يُفتش كل ما بها. كان يبحث عن شيءٍ يمكن أن يكون مُفيدًا في متابعة العصابة بعد أن فقد «أحمد» طرف الخيط، وها هو يفقد الطرف الآخر.

لم يكن هناك أيُّ شيءٍ يمكن أن يكون مُفيدًا لهم ... ولكن عيناه وقعَتا على شيءٍ في يد الرجل القتيل؛ طرف ورقة مطوية نسي الرجل الذي هرب من الشقة أن يأخذها، وسرعان ما انتزعها «عثمان» من بين الأصابع المُتشنِّجة وفتحها، كان بها رقم كبير هو ٥٠٠٠٠٠٠٠ (أي خمسون مليونًا)، ثم رقم ١٠، وكلمة كافتيريا المطار، ثم كلمات: «العينة مُمتازة»، ثم «الإجازة يومان».

بينما «عثمان» مُستغرِقٌ في تأمُّل الورقة، سمع جرس الباب يدقُّ بإلحاحٍ، وقفز «عثمان» إلى الصالة وقد أخذ معه مُسدس الرجل القتيل.

# صناديق للسفارة الإيطالية

اتجه «عثمان» إلى الباب؛ فلم يكن هناك بدٌّ من فتحه حتى لا يُحدِث الطارق ضجةً أكبر، ووقف خلف الباب شاهرًا مُسدَّسه، ومدَّ يده الأخرى ففتح الباب، ووجد شابًّا مُتوسط العمر ضخم الجسم، ينظر إليه في ضِيقٍ، ثُم أشار إلى ساعته وقال: السيارة جاهزةٌ.

غمغم «عثمان» ببضع كلماتٍ كأنما يُعلن عن فهمه، فعاد الشاب يقول: إن الوقت ضَيقٌ، فالشوارع مُزدحمةٌ، والمسافة طويلةٌ.

وتذكر «عثمان» كلمة كافتيريا المطار، وربط بين الشوارع المزدحمة والمسافة البعيدة وقال: تقصد المطار؟

ردَّ الشاب: نعم ... كان الأستاذ «وليد نبهان» قد طلب سيارةً في التاسعة لتنقله إلى المطار، وقد جئت بالسيارة، والساعة الآن التاسعة وعشر دقائق.

عثمان: لحظة واحدة.

ترك الشاب واقفًا على الباب، ودخل الشقة ... بالطبع كان «وليد نبهان» قد فارق الحياة منذ نصف ساعة، ولم يعُد في إمكانه أن يذهب إلى المطار، أو إلى أي مكانٍ آخر ... ولكن «عثمان» تظاهر بأنه يُكلِّمه، ثم عاد بعد لحظاتٍ إلى الباب وقال: للأسف الأستاذ «وليد» ألغى المشوار.

بدا الضيق على الشاب وقال: في هذه الحالة لا بدَّ من دفع إيجار السيارة.

قال «عثمان»: بالطبع ... كم المبلغ؟

الشاب: عشرون جنيهًا.

مدَّ «عثمان» يده في جيبه ثم أخرج المبلغ ودفعه للشاب، وأخذ منه الإيصال، وأعطاه بقشيشًا سخيًّا، ثم أغلق خلفه الباب ونظر إلى ساعته ... كانت التاسعة وخمس عشرة

دقيقة، وأسرع إلى التليفون وطلب مقرَّ الشياطين، وردَّت «إلهام» على الفور فقال «عثمان»: اسمعي يا «إلهام» ... أعتقد أن أمامنا مُهمةً خطيرةً، من معك؟

إلهام: «أحمد» و«ريما».

عثمان: أحضروا السيارة «الرينو» وتعالوا فورًا إلى شارع «المساحة» ... «أحمد» يعرفه طبعًا؛ إنه قريبٌ منكم جدًّا، وستَجِدونني واقفًا أمام شركة سيارات «تيوتا».

أنهى «عثمان» المكالمة ثم نظر حوله نظرةً أخيرةً، وأسرع إلى باب الشقة ففتحه ثم أغلقه وراءه، ولم ينتظر المصعد، بل نزل على السلالم مُسرعًا، وصل إلى الشارع بعد أن أخفى المسدس الضخم الكاتم للصوت تحت ثيابه ... وقفز إلى الرصيف الآخر، ووقف ينتظِر. ولم تَمْضِ سوى دقيقتَين فقط، وظهرت السيارة «الرينو» الصفراء يقودها «أحمد». وتوقفت ثانيةً واحدة، وقفز «عثمان» إليها، ثم عاودت سيرَها.

كان واضحًا على وجه «عثمان» وثيابه أنه مرَّ بتجربةٍ مُثيرةٍ ... وقالت «ريما» مُعلِّقةً: من الواضح أنك خُضتَ معركةً قاسيةً!

عثمان: نعم، حدث ... وقد راح ضحيَّتَها الرجل المريض الذي عن طريقه بدأنا نعرف نشاط العصابة المجهولة ... لقد مات الرجل «وليد بن نبهان»!

إلهام: كيف؟

عثمان: كنت محاصرًا بينه وبين زميل له، وقمتُ بحركة الانطراح أرضًا مع ضرب الخصم الخلفي لأنه لا يتوقَّع الحركة، ونشأ عن انطراحي أرضًا أن انطلق الرصاص في نفس الوقت، وأصابت رصاصةٌ الرجلَ الذي كان خلفي وهو «وليد»، فمات على الفور، أما الآخر فقد حمَّلْتُه الفراش وما كان عليه من مراتب.

أحمد: وبعد ذلك؟

عثمان: هرب الرجل ... وعثرت على ورقةٍ بها هذه المعلومات.

وأخذ «عثمان» يقرأ الورقة: «خمسين مليونًا ... رقم ١٠ – كافتيريا المطار – العينة ممتازة – الإجازة يومان.»

كانت السيارة قد وصلت إلى ميدان «التحرير» وسأل «أحمد»: إلى أين يا «عثمان»؟

«عثمان»: نسيت أن أقول لك ... من المهم أن نصِل إلى «مطار القاهرة» قبل الساعة العاشرة.

نظر «أحمد» إلى ساعته نظرةً خاطفةً وقال: الزحام الآن على أشُدِّه في شارع رمسيس، من الأفضل أن نتجه إلى المطار عن طريق «صلاح سالم».

وأدار «أحمد» السيارة دورة واسعة دخل بها شارع «التحرير»، ثم انطلق عن طريق شارع «حسن الأكبر»، بينما استمر «عثمان» يتحدث: لقد حللتُ جزءًا من هذه الرموز والكلمات.

أنصت الثلاثة بانتباهٍ شديدٍ ... ومضى «عثمان» يقول: هناك موعدٌ هامٌّ في كافتيريا المطار الساعة العاشرة ... وقد عرفت ذلك من سائقٍ كان «وليد» قد اتفق معه على مشوار المطار.

أحمد: إنك تقوم في هذه العملية بدورٍ خطيرٍ يا «عثمان».

ابتسم «عثمان»، ولمعت أسنانه البيضاء في ظلام السيارة، التي كانت قد بدأت السير في طريق «صلاح سالم» متجهةً إلى المطار، وضغط «أحمد» على بدَّال البنزين، فانطلقت السيارة تلتهم الطريق الطويل ... وساد الصمت فترةً طويلة حتى أشرفوا على المطار الضخم الرابض في الصحراء، وقد تلألأت على مبانيه مئات الأنوار.

قال «أحمد»: سنتفرَّق عند دخول المطار، فمن الأفضل عدم لفت الأنظار إلينا، فإذا لم نلتقِ فسنجتمع مرة أخرى عند السيارة.

عثمان: أرجو ألا يبتعد بعضنا عن بعض مسافة طويلة؛ قد نحتاج إلى عملٍ سريع معًا.

أحمد: بالطبع سنتبادل الإشارات من بعيدٍ لبعيد عند اللزوم.

ركن «أحمد» السيارة في موقف المطار، ونزلوا جميعًا وساروا حتى وصلوا إلى باب المطار، فدخل «عثمان» أولًا ثم «ريما» مع «إلهام». ثم دخل «أحمد» وحده وساروا إلى الكافتيريا، وكانت الساعة العاشرة تمامًا.

نظر «عثمان» حوله، لم يكن هناك ما يُريب ... الحياة العادية في أي مطارٍ في العالم ... مسافرون ومُودِّعون، وأصوات الطائرات تدوِّي، وأصوات مُكبرات الصوت تُعلن عن قيام الطائرات أو وصولها ... وفجأة، وبأسرع مما توقَّع «عثمان»، شاهد ثلاثة رجال يدخلون الكافتيريا في خطواتٍ سريعةٍ، وكان بينهم الرجل الذي قلب عليه «عثمان» الفراش. وبسرعةٍ انحنى «عثمان» وتظاهر بأنه يربط حذاءه ... وشاهده «أحمد» وفهم على الفور أنه يُخفي وجهه عن القادمين. ومن آثار الجراح في وجه الرجل الذي غطَّاه برباطٍ طبي عرف «أحمد» أنه رجل العصابة الذي كان في الشقة مع «وليد بن نبهان».

اتجه الرجال الثلاثة إلى مائدةٍ منعزلة وجلسوا، وبسرعة اختار «عثمان» مائدة بعيدة عن الأضواء، وجلس ... وفعل «أحمد» مثله. أما «ريما» و«إلهام» فقد اختارتا أقرب مائدة

للرجال الثلاثة وجلستا ... وابتسم «أحمد» وهو يرى كيف جلست «إلهام» بحيث تُصبح أذنها أقرب ما تكون إلى الرجال الثلاثة.

لم تمض سوى ثوانٍ قليلةٍ حتى دخل الكافتيريا رجلٌ شمل المكان بنظرةٍ واسعةٍ، ثم اتجه إلى الرجال الثلاثة ... كان يحمل مجموعةً من الأوراق، ودون أن يجلس وضع أوراقه على المائدة، وأخذ أحد الرجال الثلاثة يُوقِّعها ... وتبادل «أحمد» و«عثمان» نظرةً بعيدة ... وعندما انصرف الرجل عائدًا ومعه أوراقه تَبِعه «أحمد» وشاهده يتجه إلى منطقة جمرك المطار، ثم يُبرز تصريحًا ويمر من باب الجمرك.

وقف «أحمد» بجوار الباب يشهد تحركات الرجل، وكم كانت دهشته أن وجد الرجل ومعه مجموعة من الحمَّالين يرفعون ثلاثةَ صناديق ضخمة، ويأخذون عليها موافقات الخروج من رجال الجمارك دون أن تُفتح، واستنتج على الفور أنها تابعةٌ لإحدى السفارات؛ فهو يعرف أن الحقائب الدبلوماسية لا تُفتح، وكل شيءٍ يرِدُ إلى أية سفارةٍ يحمِل كلمة حقيبة دبلوماسية لا يُفتش ... والسؤال الذي خطر ببال «أحمد» على الفور: هل تتعامل العصابة مع إحدى السفارات؟ وهل بين أفراد العصابة دبلوماسيون؟ إن هذا سيكون حدثًا خطيرًا!

انتظر «أحمد» حتى مرت الصناديق الثلاثة أمامه من باب الجمرك، وألقى عليها نظرة فاحصة ... ودُهش مرة أخرى إذ وجد الصناديق تتبع السفارة الإيطالية بالقاهرة، وتمنَّى في هذه اللحظة أن يعرف ما في هذه الطرود؛ إنها قد تُحدِّد على الفور نشاط العصابة.

وأخذ يُفكر سريعًا فيما ينبغي عمله، ولم يطُل به التفكير فقد ظهر الرجال الثلاثة، وخلفهم على مسافاتٍ متساوية «عثمان»، ثم «إلهام» و«ريما»، وتبادل «أحمد» معهم النظرات، وفهموا من إشارةٍ خفيَّة أنه سيتبع الصناديق الثلاثة، ولكن «عثمان» أشار له مجموعة من الإشارات تعني أنه هو الذي سيتبع الصناديق، وعلى «أحمد» أن يتبع الرجال الثلاثة لأنهم لا يعرفونه، وأحنى «أحمد» رأسه موافقًا.

أسرعت «إلهام» و«ريما» إلى جوار «أحمد» في السيارة، وعيونهم على الرجال الثلاثة، بينما أسرع «عثمان» خلف الصناديق الثلاثة. وبينما انطلقت السيارة برجال العصابة، وتبعها «أحمد» بسيارته «الرينو» ومعه «إلهام» و«ريما»، قبع «عثمان» في الظلام يرقُب الصناديق الثلاثة التي اجتمع حولها عدد من الحمَّالين، ثم اقتربت سيارة نقل ضخمة، وأخذ الرجال يحملون ويصيحون حتى وضعوا الصناديق الثلاثة على ظهر السيارة، ثم أخذ الحمَّالون أجرهم وبدءوا ينصرفون، وبدأت السيارة تتحرك.

وقفز «عثمان» في الظلام خمس قفزات سريعة، وضعته خلف السيارة تمامًا، وما كادت تتحرك حتى قفز إليها واختفى بين الصناديق الضخمة.

انطلقت السيارة النقل مُسرعة على طريق المطار الواسع، وجلس «عثمان» يفكر فيما سيحدث بعد ذلك ... كان هناك حارس بجوار السائق، ومن المؤكد أنه حارسٌ مسلحٌ، ولكنه ليس مشكلة على كل حال، فمعه المسدس الضخم الذي استولى عليه من شقة شارع «المساحة» ... ولكن المشكلة التي واجهت «عثمان» في هذه اللحظة كانت إحساسه بالتعب والجوع؛ فهو منذ أن خرج من المنزل في الصباح لم يأخذ وقتًا من الراحة مُطلقًا، ولم يضع شيئًا في فمه، ورغم أنه ككل الشياطين الـ «١٣» قويٌّ صلب العود، إلا أنه كان فعلًا قد وصل إلى حالةٍ من الإرهاق والجوع يحتاج فيها إلى الراحة والطعام.

وظلت السيارة مُنطلقة بسرعة متوسطة حتى وصلت إلى شارع «صلاح سالم»، واقتربت من حي «القلعة» العريق. قبل أن يدري «عثمان» بما حدث، كانت قد انحرفت إلى ناحية «مقابر الغفير». ثم دخلت إلى «جراج» سرعان ما أغلق أبوابه.

كانت المفاجأة كاملة ... ولم يكن أمام «عثمان» إلا أن يقفز في ظلام الجراج مُحاولًا الاختفاء عن الأعين ... ولكن ذلك كان بعد فوات الأوان؛ فقد كان هناك رجلان في الجراج تلقَّياه على الفور وهو في الهواء، واستطاع «عثمان» أن يضرب أحدهما بقدمه فانطلقت منه آهة موجعة ... ولكن الثاني لم يترك لـ «عثمان» فرصةً للاشتباك معه، فقد هوى عليه بماسورةٍ من الحديد أخطأته، ولكنها هبطت بشدةٍ على ذراعه اليُسرى، وأحس بألمٍ هائلٍ كأن عظامه قد تفتَّتَتْ إلى عشراتٍ من القطع ... وكان سائق السيارة والحارس قد نزلا، وأحاط الثلاثة بـ «عثمان» الجائع، المتعب، ذي الذراع المضروبة، وكان الحارس يرفع في يده بندقية سريعة الطلقات يمكن أن تقتل فيلًا في ثانية ... وهكذا وجد «عثمان» نفسه في موقفٍ لا يسمح له بالحركة، فرفع يديه فوق رأسه مُستسلمًا.

# مغامرات الشوارع

في نفس الوقت الذي كانت هذه الأحداث تجري فيه، كان «أحمد» يتبع السيارة التي ركبها الرجال الثلاثة، وكانوا قد اختاروا وسط المدينة المزدحم طريقًا لسيرهم ... وعندما وصلت السيارة إلى شارع «رمسيس»، أخذ «أحمد» يُحاول الاقتراب أكثر فأكثر حتى لا تضيع منه السيارة، واستطاع في النهاية أن يضع سيارته خلف السيارة الأولى تمامًا، وأخذت «ريما» التي كانت تجلس بجانبه تصِف الرجال الثلاثة بقدْر ما استطاعت أن تراهم، بعد أن أخذت أرقام السيارة ونوعها.

توقفت السيارات جميعًا في إشارة «الإسعاف»، ثم بعد لحظاتٍ فُتحت الإشارة وانطلقت السيارة مسرعةً ... كانت السيارة الأولى من طراز «مرسيدس ٢٨٠ ي. ل» القوية، وكانت في أول طابور السيارات الواقف، وهكذا لم تكد الإشارة تفتح حتى انطلقت بكل قوتها، فاجتازت بقية شارع «رمسيس» حتى كوبرى «٦ أكتوبر» في ثوانٍ قليلة، وخلفها انطلقت «الرينو» كالصاعقة ... وصعدت السيارتان الكوبري الضخم وحدهما، فقد كانت بقية السيارات خلفهما بمسافةٍ كبيرة.

اختفت السيارة المرسيدس عند مطلع الكوبري لحظاتٍ قليلة جدًّا، ثم لحقت بها الرينو ... وفي هذه اللحظة ومن أول الكوبري، كانت سيارة نقل ضخمة مُحمَّلة بالغسالات البيضاء ماركة «إيديال» قادمةً في اتجاهٍ متقاطع مع السيارة الرينو. وقبل أن يتمكن «أحمد» من تجاوزها، كانت قد أصبحت أمامه تمامًا، ليس بينها وبين الرينو الصفراء إلا سنتيمترات قليلة، ضغط «أحمد» الفرامل بكل قوته، وأدار عجلة القيادة إلى آخر دَورتها جهة اليسار، ولكنه اصطدم بالعجلات الخلفية للسيارة النقل صدمةً قوية، ودارت الرينو دورةً كاملةً، وانفكَّ رباط الغسالات، وتدحرجت على الكوبري كأنها موجاتٌ بيضاء على سطحٍ أسود.

ما كاد «أحمد» يستعيد قُدرته على كبْح جماح الرينو ويُعيدها إلى طريقها، حتى كانت المرسيدس قد اختفت في أحد طرُق الهبوط ... وانطلق «أحمد» خلفها، ولكنه كان قد خسِر السباق، فقد تلاشت السيارة المرسيدس في خضم السيارات الكثيرة في هذه المنطقة المزدحمة. وقاد «أحمد» الرينو وهو في غاية الضيق إلى المقر السري للشياطين، وقد كان قريبًا من مكان المطاردة.

ارتمى «أحمد» على أول مقعدٍ قابله في الصالة، وابتسمت «إلهام» وقالت: لا أدري لماذا تبدو هذه المغامرة كأنها لا تسير في خطٍّ مستقيمٍ.

أجاب «أحمد» على الفور: لأن المعلومات التي لدينا ناقصة جدًّا ... إنها مجرد وجود عصابة من المُتوقَّع أن تفعل شيئًا، أما هذا الشيء فلا نعرف عنه أي شيء ... ولهذا فنحن نتخبَّط. والأمل الوحيد الآن أن يأتي «عثمان» بخبرٍ ما، أو بمعلومات تدلُّنا على نوع نشاط هذه العصابة.

ريما: والصناديق الثلاثة؟! إني أشعر أنها ليست بريئة.

أحمد: إنها قادمةٌ من «إيطاليا» لحساب السفارة الإيطالية كحقائب دبلوماسية.

ريما: إذا لم يعد «عثمان» بمعلوماتٍ الليلة، فسوف أقوم غدًا بالاستفسار عن حقيقة هذه الصناديق ... والآن ما رأيك في أن نتناول العَشاء.

ابتسم «أحمد» رغمًا عنه وقال: هذا هو الشيء الوحيد المضمون في هذا اليوم.

وقامت «إلهام» و«ريما» بإعداد عشاءٍ سريعٍ تناوله الثلاثة، ثم جلسوا في انتظار «عثمان» ولكنَّ الوقت مضى حتى أشرفت الساعة على الثانية صباحًا دون أن يظهر «عثمان»، فدخلت «ريما» و«إلهام» غُرفتيهما للنوم، بينما بقي «أحمد» في الشرفة ينتظر وينظُر في ساعته بين لحظةٍ وأخرى حتى أحسَّ في النهاية أنه لا يستطيع مُقاومة النعاس، فقام إلى الغرفة الأمامية، وفي دقائق قليلة كان قد استسلم للنوم.

عندما استيقظ «أحمد» في الثامنة وجد «إلهام» في الصالة، ومن وجهها الساكن عرف أن «عثمان» لم يعُد، وهذا يعني أن الأمور اتخذت اتجاهًا خطيرًا. وظهرت «ريما» وقد استعدَّت للخروج، فقال «أحمد»: سأخرج أنا أيضًا ... سأبحث عن السيارة المرسيدس، وعليك يا «إلهام» البقاء هنا فقد يعود «عثمان».

إلهام: سأرسل تقريرًا إلى رقم «صفر» بأحداث الأمس.

أحمد: بالطبع ... وقد يَصِلنا منه شيءٌ يُنير لنا الطريق؛ فهذه المغامرة تنتهي دائمًا إلى طريقٍ مسدود ... يُمكننا أن نُسمِّيَها «الهدف لا شيء».

ركبت «ريما» سيارةً صغيرةً من طراز «هوندا»، واتجهت إلى السفارة الإيطالية ... بينما ركب «أحمد» السيارة «الرينو» التي كانت إصابتها ما زالت واضحةً، وسرعان ما غاص في شوارع المدينة المزدحمة، واختار أن يركن سيارته عند «دار القضاء العالي»، واتجه إلى مقهى شارع ٢٦ يوليو، حيث استطاعت العصابة أن تضحك عليه، وتسرق منه صندوق الأحذية الثمين.

اختار كرسيًّا في نهاية المقهى وجلس، وأخذ يرقُب باهتمام كلَّ من يدخل المقهى، وفي أعماقه إحساس أنه سيجد طرف خيطٍ مرة أخرى ... ولكن مضى نصف ساعة دون أن يظهر أي شخصٍ ممن رآهم حتى الآن من رجال العصابة ... ولكن حدث فجأة ما لم يكن في الحسبان؛ فقد اقترب منه الجرسون وقال له: تليفون يا أستاذ.

كانت مفاجأة كاملة ... تليفون؟! من الذي يعرف أنه هنا؟ إنه هو نفسه لم يكن يعرف أنه سيتَّجه إلى هذا المكان مُطلقًا ... على كل حالٍ تبع الجرسون إلى داخل المقهى، حيث كان التليفون في جانبٍ منه داخل كابينة من الزجاج، ورفع سماعة التليفون، وسمع على الطرف الآخر صوتًا يقول: لقد توقعنا أن تأتي إلى المقهى، ووصفناك للجرسون.

أحمد: من أنتم؟

الصوت: نحن الذين نسأل ... مَن أنتم؟ ماذا تريدون؟

أحمد: أرجو ألا تحاول ...

ولكن الصوت قَطع عليه كلماته وقال بغضبٍ: اسمع يا بني ... ليس لدينا وقتٌ نُضيعه معكم، إن زميلك الأسمر في أيدينا.

ضغط «أحمد» على أسنانه غضبًا وضيقًا؛ لقد وقع «عثمان» ... ومضى الصوت يقول: إنه لا يُريد أن يتحدث رغم ما فعلناه به!

أحمد: إنني أُنذركم.

الصوت: دعك من الإنذارات ... إننا سنُمهلك ربع ساعة ثم نُحدثك مرة أخرى ... خلال ربع الساعة هذا يجب أن يستقر رأيك على ما ستفعله، إنَّ أحد رجالنا الذي لم تره أبدًا يُراقبك الآن، ويمكنه أن يقضي عليك في ظلام المقهى دون أن يُحسَّ به أحد. وبعد ربع الساعة سيموت صديقك، وستموت أنت ... والآن أتركك لتُفكر، وأرجو أن تكون عاقلًا بما يكفي؛ لنتفاهم، وإذا كنتم تريدون كسب بعض المال من العملية، فالمال كثيرٌ، وليس عندنا مانع من منحك أنت وزميلك بعض المال.

أنهى صاحب الصوت المكالمة، ووضع السماعة، وأحسَّ «أحمد» بالعرق يتصبَّب على ظهره، ووجهه ... وخرج من الكابينة وذهنه يعمل بسرعة الصاروخ ... إن عليه الآن أن

يتَّخذ قرارًا خطيرًا ... إمَّا أن يترك «عثمان» يموت، وإما أن يَقبل المساومة، وبالطبع كانت المساومة تُعطيه فرصةً أكبر للعمل ... ولكن ما هي شروطهم؟

عاد «أحمد» إلى مقعده وأدار عينَيه في المقهى ... أخذ يتفحص كل الوجوه التي حوله ... إن بينها صاحب الوجه الذي تعرَّف عليه وأبلغ العصابة، وتحدَّث إليه صاحب الصوت. وفجأة خطر له خاطر ... إن هذا الذي اتصل بالعصابة، في الأغلب اتصل بها من المقهى، ففيها أقرب تليفون؛ إذن فليسأل الجرسون٠

أشار إلى الجرسون الذي أتى بعد لحظاتٍ وقال له «أحمد»: أريد أن أسألك بضعة أسئلة.

بدت الدهشة على وجه الجرسون وقال: أنا يا أستاذ؟

مدَّ «أحمد» يده في جيبه، وأخرج جنيهًا وضعه في يد الجرسون، وقال: إنها ليست أسئلة مؤذيةً مطلقًا.

الجرسون: تفضل يا أستاذ.

أحمد: هل تستخدمون قطعة عملة في صندوق التليفون؟

الجرسون: لا يا أستاذ ... عندنا قِطع نحاسية خاصة لا يعمل التليفون إلا بها، نُسمِّيها «المارك».

أحمد: عظيم ... من الذي معه «المارك»؟

الجرسون: إنه الرجل المسئول عن «الكيس»، أي المُحصِّل، وهو يجلس هناك عند طرف المقهى.

وأشار الجرسون إلى شخصٍ يجلس أمام مائدة صغيرة، يُعد المشروبات ويتسلَّم ثمنها، قال «أحمد»: أريد أن أعرف من الذي تحدث تليفونيًّا خلال نصف الساعة الذي مضى. قال الجرسون مُبتسمًا وهو يتناول الجنيه: بسيطة يا أستاذ ... ستعرف حالًا.

أسرع الجرسون إلى الرجل الجالس على الكيس وتهامس معه لحظاتٍ، ثم شمل الجالسين بالمقهى ببصرِه بضع مراتٍ، ثم عاد إلى «أحمد» ومال عليه، وقال: أربعة يا أستاذ.

أحمد: هل عرفت من هم؟

الجرسون: طبعا يا أستاذ ... شخصٌ أسمر طويل القامة، يبدو أنه من خارج القاهرة هو أول من تحدَّث. وقد تحدث وخرج.

وانحنى الجرسون على «أحمد». وقال: والشخص الجالس خلفك على بعد ثلاثة «كراسي» تحدث مرة، وقال إنه في انتظار مكالمةٍ ستأتيه بعد قليلٍ.

توترت أعصاب «أحمد» على الفور ... هذا بالتأكيد هو الرجل الذي يُراقبه، إنه في انتظار مكالمة من العصابة ليُطلق عليه رصاصة صامتة لا يراها ولا يسمعها أحد، ثم ينصرف بهدوءٍ دون أن يشتبه فيه إنسان ... وقال الجرسون: والشاب الجالس بجوار الباب الزجاجي، هذا الذي يبدو عليه القلق تحدَّث مرتين ...

أحمد: ومَن هو الرابع؟

ابتسم الجرسون وهو يقول: إنه ماسح الأحذية الذي تراه يتحرَّك بين الموائد لمسح أحذية الزبائن.

شكر «أحمد» الجرسون، وجلس هادئًا، وهو ينظُر إلى ساعته ... كانت قد مضت سبع دقائق منذ تلقَّى المحادثة التليفونية؛ فما زالت أمامه ثماني دقائق قبل أن يتلقَّى المكالمة الثانية، وقام واقفًا بعد لحظاتٍ، وتحرَّك ذاهبًا إلى دورة المياه، وألقى نظرةً سريعةً على الرجل الذي خلفه، وكم كانت دهشته عندما وجده مُستغرقًا في النوم ... هل كان يتظاهر؟ ربما ... على كل حالٍ، مشى «أحمد» بين الموائد، وألقى نظرةً على ماسح الأحذية، ووقعت عيناه على صندوق الأحذية، وعرفت عينه الخبيرة على الفور مَن أين يأتي الموت، إنه قادمٌ من صندوق الأحذية ... ورفع ماسح الأحذية عينيه إلى «أحمد»، والتقت العيون في نظرةٍ كأنها من الصلب ... وتحرك ماسح الأحذية سريعًا، وفي لحظاتٍ كان قد خرج إلى الشارع.

# أحيانًا تحت الأرض

اندفع «أحمد» يجري ... لقد عرف أن الرجل سيهرب، فإذا استطاع اللَّحاق به ربما أصبح مُمكنًا أن يُعاودوا محاولة معرفة ماذا تُخطط العصابة في «مصر» ... كان الرجل يسير بسرعةٍ والزحام شديدٌ، وعندما استطاع «أحمد» أن يقترب منه كان الرجل قد دخل شارع «الشريفين» خلف «البنك المركزي» وأمام وكالة «أنباء الشرق الأوسط». وظل الرجل يسير بنشاطٍ والصندوق الخشبي على ذراعه اليسرى، وسرعان ما وصل أمام محل بيع التُّحف القديمة فوقف أمامه لحظات، ونظر حوله ثم دخل إلى المحل.

وصل «أحمد» إلى المحل، كان متجرًا لبيع التحف والأثاثات القديمة في سلاملك إحدى العمارات القديمة، وينزل الداخل إليه خمس درجاتٍ حجرية قديمة ... ولم يتردَّد «أحمد»؛ نزل السلالم، وفوجئ بالظلام الذي يسود المتجر، ورائحة الأشياء القديمة تهبُّ عليه، ولكنه استمر في النزول، وعندما اعتادت عيناه الظلام لم يجد لماسح الأحذية أثرًا.

وقف «أحمد» لحظاتٍ يتأمَّل ما حوله ... كان المحل كبيرا ومتشعِّبًا، قد تكدَّست فيه عشرات من قطع الأثاث القديم والتماثيل والنجف الضخم، والفازات البللورية والسجاجيد، وكل ما يخطر على البال ... وكان مُضاءً من إحدى الثريات الكبيرة بلمبةٍ واحدةٍ لا تكاد تُبدِّد الظلام المُخيِّم على المكان.

أخذ «أحمد» يُدير عينيه في المكان باحثًا عن ماسح الأحذية دون جدوى ... فاخذ يتحرك داخل المحل، وفجأة سمع «أحمد» صَوت شخصٍ ما يتحرك، وتنبَّهَت أعصابه واتجه فورًا إلى الجدار يحمي ظهره، ثم ظهر الرجل المُتحرك ... كان رجلًا قصير القامة شديد الشحوب كأنه خرج من القبر، أصلع تمامًا كالأقرع، يضم شفتيه بشدَّة كأنه يضغط على أسنانه حتى لا تقع ... كان مشهده يُشبه مشهد دودة تخرج لتوِّها من البيضة ...

وأخذ ينظر إلى «أحمد» في جمودٍ أقرب إلى الكراهية، وحار «أحمد» فيما يقول له، ثم مدَّ يده في النهاية إلى تمثالٍ صغير من البرونز لفارسٍ وقال: كم يساوي هذا؟

ردَّ الرجل بصوتٍ بعيدٍ كأنه يأتي من بُعدٍ سحيق: خمسة وستين جنيهًا.

أحمد: أليس مُرتفع السعر؟

هزَّ الرجل رأسه ولم يجب، ووضع «أحمد» التمثال، وأمسك بفازة من الكريستال وقال: وهذه؟

ردَّ الرجل بنفس الصوت: ثلاثين جنيهًا؟

وضع «أحمد» الفازة مكانها ... وأصبح يُواجه مشكلة استمرار الحديث، وقرَّر أن يدخل في الموضوع وليحدُث ما يحدُث فقال: أين ماسح الأحذية الذي دخل هنا؟

قال الرجل ببرودٍ شديدٍ: إننا لا نمسح هنا أية أحذية.

أحمد: إنني لا أسألك عن مسح الأحذية ... إنني أسأل عن ماسح الأحذية.

الرجل: من فضلك ... الساعة الآن الواحدة والنصف وهو موعد إغلاق المحل، أرجو أن تتفضل بالخروج.

أحمد: هل تسمح لي بالتجول في المحل لحظات؟

الرجل: ليس الآن يا أستاذ ... قلت لك إننا سنغلق أبواب المحل الآن، وسوف نعاود فتحه في الخامسة مساءً.

فكر «أحمد» لحظات ... إنها فرصته الوحيدة التي قد لا تتكرَّر لمعرفة مصير الرجل الذي كان يُراقبه، ومكان «عثمان»، ووصْل الخيط الذي انقطع ... ولكن تفكير «أحمد» لم يستمر طويلًا، فقد تحرك الرجل ومدَّ يدَه ليُطفئ النور.

وبينما «أحمد» يستعد للقفز ليمنعه، أحسَّ بحركةٍ خلفه، ورأى على الضوء الخفيف خيال ذراع ترتفع إلى فوق مُمسكةً بعصًا، أو قطعة حديدٍ، وكانت تهبط على رأسه سريعًا ... ولكنه انحنى جانبًا ثم دار سريعًا، وهو مُنحنِي الرأس، وأصاب الرجل الذي كان يقف خلفه بضربةٍ موجعةٍ جعلته يُطلِق آهة ثم يسقط على ظهره وسط الأثاث القديم مُحدثًا ضجةً عالية ... وسرعان ما ظهرت من الظلام أشباح أشخاصٍ آخرين، وبدأت معركةٌ هائلةٌ بين «أحمد» وبين الأشباح، كان يطير إلى سقف المحل، ثم يهبط ضاربًا الرَّجُلَين معًا ... ثم عندما يصِل إلى الأرض يُوجِّه ضرباتٍ مُتتالية.

كان «أحمد» يُحسُّ أنه في مصيدة رهيبة، وأن عليه أن يخرج منها سريعًا وإلَّا فلن يخرج منها أبدًا ... وتمنَّى في هذه اللحظة أن يُوجَد معه «عثمان» أو «بو عمير»، أو أي واحد من الشياطين، فقد كانت معركة هائلة.

ظل «أحمد» يُصارع الرجال في المحل تحت الأرض، بينما أسرع الرجل النحيف بإغلاق الباب حتى لا يلفت الأنظار ... ولاحظ «أحمد» أن المحل الذي يبدو صغيرًا من الخارج هو في الحقيقة يحتل مساحةً ضخمةً تحت الأرض. وفجأة ظهر رجل مُشوَّه الوجه يحمل مُسدسًا ضخمًا، وصاح بغضبٍ: كفُّوا عن كل هذا!

وتوقفت المعركة الناشبة بين «أحمد» والرجال أمام المُسدس الذي صوَّبه الرجل إلى «أحمد» في حسمٍ واضحٍ وقال: ماذا تريد يا بني؟

توقف «أحمد» مبهور الأنفاس بعد هذه المعركة الضارية، وكان اثنان من الرجال الذين صرعهم يُحاولان النهوض، ووقف أحدهما، وترنَّح قليلًا ثم تمالك توازنه، ولدهشة «أحمد» الشديدة وجد الرجل يهجم عليه كالثور ثُم يوجِّه إليه ضربةً قويةً، ولكن «أحمد» مال برأسه جانبًا، وطاشت الضربة ... وأرسل «أحمد» يدَه في ضربةٍ هائلةٍ استقرت على الرجل كالمطرقة وترنَّح وسقط، وكانت سقطته على الرجل الذي يُمسك بالمسدس الذي لم يستطع تمالُك توازنه ... وانتهز «أحمد» الفرصة وأسرع نحو الباب مُحاولًا النجاة بحياته من هذا الفخ ... وفجأة أحسَّ بالأرض تهتزُّ تحت قدمَيه، ثم ينفتح باب في أحد الجدران وتمتدُّ ذراعان تشدَّانه إلى مكانٍ مظلم، ثم هوت عليه ضربة قوية وغابت الدنيا أمام عينيه. وتهاوى على الأرض وذهب في إغماء عميق ...

عندما استيقظ «أحمد» من إغمائه وجد نفسه يسبح في ظلامٍ ثقيلٍ، حتى خُيِّل إليه أنه تحت الأرض، وقد كان فعلًا تحت الأرض ... فقد ألقاه الرجال الذين صارعهم في غرفةٍ مظلمةٍ تقع تحت مستوى الشارع بخمسة أمتارٍ، وكانت التهوية سيئةً حتى أحسَّ بالهواء ثقيلًا ورطبًا ... وأخذ يحاول الوقوف، ولكنه لم يتمكن من الوقوف تمامًا فقد اصطدم رأسه بالسقف، وأحس بآلامٍ جديدةٍ تُضاف إلى ألم الضربة التي وُجِّهت إليه.

أسند ظهره إلى الجدار، وأحس برطوبة الحائط تسري إلى بدنه؛ كان واضحًا أن المياه تنشع في هذه الغرفة الصغيرة السيئة التهوية، وأدرك «أحمد» أنه قد يموت مُختنقًا لو بقي فترةً طويلة في هذه الغرفة المخيفة، ولكن لِحُسن الحظ لم يستمر بقاؤه طويلًا؛ فقد وقعت عيناه على ضوء بطارية وسمع من يقول له: اتبعني.

مشى نصف مُنحَنٍ خلف صاحب الصوت، وظل يسير فترةً طويلة في دهاليز مُتعرجة ترتفع فيها رائحة الرطوبة والمُخلَّفات كأنها مجارٍ، حتى وصل إلى صالةٍ مضاءة إضاءة خفيفة، وقد وقف فيها ثلاثة رجال مسلحون ... وأشار واحد منهم إلى باب غرفة في طرف الصالة، وسار «أحمد» إليها خلف حارسه ... كان ذهنه يعمل بسرعةٍ ... ماذا ينبغي أن

يفعل في اللحظات القادمة؟ من المؤكد أنه ذاهبٌ الآن للاستجواب ... إن الدروس التي تلقَّاها في «ش. ك. س» والتجارب الكثيرة التي مرَّ بها تؤكد له أنه الآن سيخضع لاستجوابٍ دقيقٍ، وهو يعلم أنه سيتعرض في هذا الاستجواب إلى ضروبٍ من القسوة التي لا مثيل لها فماذا سيفعل؟

انفتح الباب، ووجد «أحمد» نفسه يدخل غرفةً مُضاءةً، لدهشته الشديدة كانت تُشبه كابينة غواصة ... كانت حافلةً بالأزرار والعدادات وآلات الحركة، وقد امتدَّت منها خراطيم من الكاوتشوك في أماكن مُتفرقة، ومواسير من النحاس اللامع وبعض أنابيب الأوكسجين، ولم يكن «أحمد» ليتصوَّر أن يُوجَد كل هذا تحت أرض هذا المحل العادي المظهر في شارعٍ في قلب «القاهرة».

وأخذت عيناه تنتقِلان بين مجموعة الرجال التي احتلت الغرفة، ولفت نظره على الفور منظرهم الأنيق. كانوا جميعًا كأنهم خارجون للسهرة، ولم يرَ بينهم ماسح الأحذية الذي طارده، ولا «عثمان» ... وأخذوا جميعًا ينظُرون إليه، وقال واحد منهم وهو يهرش رأسه بأصابع نحيلة أنيقة: هذا الولد ... هذا الوجه ليس غريبًا عني.

التفت إليه بقية الرجال، فعاد يقول: نعم ... إنه ليس غريبًا.

دقَّ قلب «أحمد» ... إنه يتذكَّر فعلًا أن إحدى العصابات كانت قد التقطت له مجموعة من الصور، وأن رقم «صفر» استخدم هذه المعرفة بطريقةٍ بارعةٍ عندما طردَه من مجموعة الشياطين بحركةٍ تمثيليةٍ، وزرعه في قلب عصابة، واستطاع في النهاية ضربها من الداخل.

قال أحد الرجال: متى رأيته، وكيف؟

ردَّ الرجل الأول: أعتقد في ملف عصابة أوروبيةٍ كانت تعمل في هذه المنطقة.

الرجل الثاني: هذا يعني أنه محترفٌ!

الأول: نعم ... إنه على ما أذكر مُنضم إلى إحدى المنظمات السرية التي تعمل على مكافحة الجريمة. وأتصور أننا لو استطعنا معرفة هذه المنظمة، والقضاء عليها، فسوف نُحقق انتصارًا لا نحلم به، فقد استطاعت هذه المنظمة الانتصار في جميع المعارك التي خاضتها حتى الآن.

ثم التفت الرجل إلى «أحمد» في حركةٍ مسرحية وقال: أليس كذلك؟

كانت معلومات الرجل دقيقةً إلى حدٍّ بعيدٍ ... فالشياطين الـ «١٣» منظمةٌ سريةٌ تعمل ضد الجريمة الدولية، وقد حقَّقت الانتصار في كل معاركها.

تحدث رجلٌ سمينٌ كان يجلس هادئًا مُشبِّكًا ذراعيه على صدره قائلًا: والآن يا ولدي، ها أنت ترى أننا نعرف عنك الكثير ... فهل من الممكن أن تتفضَّل فتقول من الذي وضعك في طريقنا ... هذا؟ أجب وإلا كانت هذه نهايتك ونهاية زميلك الأسمر الظريف!

# عندما تنام الشياطين

استطاعت «ريما» بطريقةٍ بارعةٍ أن تحصل على المعلومات اللازمة من السفارة الإيطالية، وعرفت أن السفارة لم تطلب أية صناديق ... وهكذا تأكدت أن الصناديق الثلاثة التي وصلت باسم السفارة كانت مُحمَّلةً بأشياء غير مشروعةٍ، وأنها دخلت إلى «مصر» باسم السفارة الإيطالية بأوراقٍ مزورة.

عادت «ريما» مُسرعة إلى مقر الشياطين الـ «١٣» تحمل هذه الأنباء، ووجدت «إلهام» وحدَها فروت لها المعلومات التي حصلت عليها، وقالت «إلهام» وهي تنظر في ساعتها: «عثمان» لم يعُد حتى الآن ... إنَّ هذا يعني أنه وقع في متاعب غير عادية!

ونظرت «إلهام» في ساعتها ثم قالت: من المفروض أن يعود «أحمد» ساعة الغداء، أو يتَّصِل بنا، فإذا لم يفعل فعلينا أن نتصرف.

ريما: هل ستتصلين برقم «صفر»؟

إلهام: الوقت ضيقٌ ... إن «عثمان» في مأزقٍ، فليس من المعقول أن يتغيَّب كل هذه المدة!

ريما: في هذه الحالة من الأفضل الاتصال بمساعد رقم «صفر» في «القاهرة» ... إن رمزه الشفري هو «أ. ش. س»، ورقم تليفونه السري عندنا.

إلهام: نعم، هذه أفضل طريقة فعلًا، وفي الثانية بعد الظهر إذا لم يعد «أحمد» أو يتصل فسنعتمِد على أنفسنا، بعد أن نحصل على المعلومات اللازمة من «أ. ش. س».

وقامت «إلهام» و«ريما» بإعداد نفسيهما للمعركة القادمة؛ فلم يعُد هناك بدٌّ منها ... ومر الوقت وكل منهما تنظُر إلى ساعتها بين دقيقةٍ وأخرى، حتى إذا أصبحت الساعة الثانية تمامًا أمسكت «إلهام» بالتليفون، واتصلت بـ «أ. ش. س»، ثم تحدثت قائلة: من «٣ ش. ك. س»؛ نريد معلومات عن ثلاثة صناديق خشبية ضخمة خرجت أمس من

«مطار القاهرة» في الساعة العاشرة ليلًا باسم السفارة الإيطالية ... عندنا معلوماتٌ مؤكدةٌ أن السفارة ليست لها علاقة بهذه الصناديق، وأنها خرجت من جمرك المطار بأوراقٍ مُزورةٍ ... كانت السيارة التي حملت الصناديق «نقل» من طراز مرسيدس، تحمل أرقام ٩٥٥٩ نقل القاهرة. متى ننتظر الرد؟

جاء صوت الرجل عبر أسلاك التليفون واثقًا وهو يقول: بعد ثلاث ساعاتٍ، على الأكثر، من الآن.

إلهام: شكرًا لك ... إن المسألة في غاية الخطورة والأهمية.

الرجل: سنفعل المستحيل.

وضعت «إلهام» سماعة التليفون، ثُم التفتت إلى «ريما» قائلةً: أمامنا ثلاث ساعات من الانتظار حتى تصِلنا المعلومات.

في هذه الأثناء، كان «أحمد» يجلس على كرسي من الخشب في الغرفة تحت الأرض في شارع وسط القاهرة، وأمامه الرجل السمين مُشبِّكًا ذراعيه في هدوء على صدره ... كان الموقف فظيعًا حقًّا ... فقد وقع هو و«عثمان» مثل فأرَين صغيرَين في يد قطٍّ مفترس.

الشيء الوحيد الذي أحسَّ «أحمد» بالارتياح له، هو أن «عثمان» ما زال حيًّا، وما دام الأمر كذلك، فهناك فرصةٌ لعمل شيءٍ ... وفي تلك الأثناء سمع «أحمد» صوت جرس تليفون يدق، ودُهش جدًّا أن يكون هناك تليفون تحت الأرض ... ومدَّ الرجل السمين يدَه في دُرج أمامه وأخرج التليفون، وأخذ يتحدث، بينما كان «أحمد» ينصت باهتمامٍ شديد: لا ... لا تبديل في الخطة ... التجارب كلها ناجحةٌ ... العينة وصلت أمس ولم يحدُث شيءٌ ... ستبقى مكانها ونسحب منها كمياتٍ معقولة لحين التنفيذ.

ربط «أحمد» على الفور بين العينة التي وصلت أمس، وبين الصناديق التي خرجت من المطار، وبين الورقة التي عثر عليها «عثمان» في يد الرجل الميت ... كان في الورقة «العينة ممتازة»، وعرف أن العينة هذه هي مدار عمل العصابة ... فما هي العينة؟

الاحتمال الأكبر أنها مخدرات، وهو الآن أمام عصابة تهريب مخدرات ... ولكن السؤال الهام: ما دخل المخدرات بكل هذه الاستعدادات تحت الأرض؟! — الأزرار، والعدادات، وآلات الشفط والضغط، والخراطيم — إن هذا كله لا علاقة له بتهريب المخدرات، إلا إن كانت هناك «تكنولوجيا» للتهريب لا يعرفها!

استمر الرجل يتحدَّث في التليفون لحظاتٍ أخرى ثم وضع السماعة، وتوقع «أحمد» أن يستأنف استجوابه، ولكن بدلًا من ذلك نظر إلى ساعته ثم قال بكلماتٍ حاسمة: إن الوقت ضيقٌ، والإجازة تقترب، وليس عندنا وقت نُضيعه مع هذا الولد ... أرسله إلى المقابر.

أدرك «أحمد» من كلمة المقابر أنه ذاهبٌ إلى الموت ... وسرعان ما انقضَّ عليه رَجُلان قيَّدا يديه خلفه، ثم كمَّما فمه وغطَّيا عينيه، ثم اقتاداه في دهاليز أحسَّ برطوبتها وهو سائرٌ، حتى وصلوا إلى غرفةٍ دفعوه فيها ثم أغلقا الباب.

سقط «أحمد» على جانبه، وأحس برطوبة الأرض التي طرح عليها، وشعر بالغضب يجتاحه كأنه تيار كهربائي، فلم يكن يتصوَّر أن يأتي يوم يَلقى فيه هذا المصير المؤلم، فيُلقى بهذا الشكل على الأرض كأنه جثة لا حياة فيها.

ولكن شعور الغضب تلاشى بعد قليل، ليحل محلَّه تفكير مُتزن فيما ينبغي عمله ... فإن أول ما يجب أن يحرص عليه المغامر هو هدوء الأعصاب، وكان تفكيره ينصبُّ كله على كيفية التخلص من قيوده. ولِحُسن الحظ أنهم لم يفتِّشوه ... فقد كانت هناك محفظةٌ صغيرةٌ من البلاستيك القوي معلقة على فخذه من الداخل، بها مجموعة من الأدوات الدقيقة التي تفتح أي قفلٍ ... فلو استطاع أن يصِل إليها بأصبعه، لأمكنه أن يَفكَّ وثاقه وأن يفتح الباب ثم يحاول الخروج من هذا المأزق الخطير ... ولكن المشكلة أن الرجلَين قيَّدا يديه خلف ظهره، وكان من المستحيل أن تصل أصابعه إلى المحفظة الصغيرة التي يضع فيها أدواته على فخذه. ومع ذلك أخذ يحاول، ويحاول، حتى أحسَّ بالتعب يحل بجسمه، واستسلم للنوم.

في نفس الوقت كان «عثمان» محبوسًا في قبو صغير تحت الأرض في مقابر «الغفير» دون طعام أو ماء، وفي لحظاتٍ كثيرة خُيِّل إليه أنه سيموت من فرط الجوع والإرهاق ... وأخيرًا دخل عليه أحد الأشخاص ومعه كمية من الجبن والحلاوة والعيش، انقض «عثمان» على الطعام وكأنه لم يتناول طعامًا مدى حياته، وبعد أن تناول الطعام وشرِب الماء استسلم للنوم على الفور ....

بينما كان «أحمد» مُستسلمًا للنوم في غرفة تحت الأرض في شارع وسط «القاهرة»، كان «عثمان» ينام هو الآخر في غرفةٍ بالمقابر ... ولكن كانت هناك «ريما» و«إلهام» اللَّتان لم تعرفا طعم النوم ... ففي الساعة الخامسة مساء اتصل بهما رقم «أ. ش. س» تليفونيًّا، ردَّت «إلهام» فقال لها: الصناديق الثلاثة خرجت من المطار إلى طريق «صلاح سالم»، ثم اختفت في منطقة مقابر «الغفير». وقد قام رجالنا باستطلاع المكان، ووجدوا أن السيارة أفرغت حمولتها في حوش المرحوم «سيد سنقر بك» من أعيان الصعيد سابقًا.

إلهام: شكرا لك ... إن هذه المعلومات على أكبر قدرٍ من الأهمية.

ردَّ الرجل: إننا رهن إشارتكم.

أغلقت «إلهام» التليفون وقالت: «ريما» ... إن فرصتنا الوحيدة للكشف عن غموض هذه العصابة العجيبة التي لا نعرف لها هدفًا هو هذه الصناديق الثلاثة، وبالطبع سوف نعرف مصير «عثمان» أيضًا.

ريما: متى نذهب؟

إلهام: بعد هبوط الظلام؛ فوجود فتاتين تتجولان في المقابر ليس مسألةً عاديةً، ويجب أن نلبس ملابس سوداء حتى لا يَرانا أحد.

قامت «إلهام» و«ريما» بدخول غرفة التنكُّر في المقر السري، اختارتا ثيابًا مكونة من قميصٍ وبنطلون أسود اللون، وأعدَّتا مجموعة من الأسلحة الصغيرة الخفيفة في جيوب البنطلون، وبعض المتفجرات الخفيفة ... عندما هبط الظلام تمامًا، أسرعتا بالخروج.

واختارت «إلهام» سيارة سوداء من طراز «بورش» من جراج المقر، ثم انطلقتا إلى طريق «صلاح سالم» فوصلتاه بعد نصف ساعة، وبعد عدة أسئلة مع بعض المارة أصبحتا أمام مقابر «الغفير» ... وتحت عمود النور وجدتا شحاذًا عجوزًا يمدُّ يده في صمت، فاقتربت منه «إلهام» بالسيارة ووضعت في يده ورقةً من فئة الـ ٢٥ قرشًا، ما كاد الرجل يلمسها حتى فتح عينيه، وقالت «إلهام» تسأله: هل أنت من هذه المنطقة؟

ردَّ الرجل: نعم ... أنا هنا منذ سبعين عامًا.

إلهام: هل تعرف المقابر والأحواش في «الغفير»؟

الرجل: أعرفها قبرًا قبرًا، وميتًا ميتًا.

إلهام: لك مبلغٌ آخر إذا استطعت أن تَدُلَّني على مقبرة «سنقر».

الرجل: إنني أعرف عائلة «سنقر» كلها ... مَن تريدين»؟

إلهام: مقبرة «سيد بك سنقر».

الرجل: إنها على مسيرة ٥ دقائق من هنا.

إلهام: سأركن السيارة وأعود لك.

اختارت «إلهام» أن تخرج على الطريق، وتدخل في منطقة الرمال والصخور المحيطة بالقبور، ثم وقفت بجوار مقبرةٍ ضخمةٍ وأطفأت الأنوار، ونزلت هي و«ريما»، وسرعان ما كان الرجل العجوز يقودهما عبر المقابر الساكنة حتى وصل إلى جدارٍ من الحجر به باب مغلقٌ، وأشار لهما وقال: هذه هي مقبرة «السيد سنقر بك».

شكرته «إلهام» وأعطته ما وعَدَتْه به من نقود، وانتظرت حتى عاد الرجل أدراجه إلى الشارع، ثم اقتربت من الباب في هدوء، ووضعت أُذنها على فتحة المفتاح، بينما وقفت «ريما» بعيدًا عنها ببضعة أمتار، وقد أمسكت مُسدسًا ضخمًا، وأخذت ترقب المكان.

مضت لحظات دون أن تسمع «إلهام» شيئًا، فأخرجت كيسًا صغيرًا من البلاستيك، أخذت منه بعض الأدوات الرفيعة، وسرعان ما كانت تفتح الباب، ثم أخذت تدفعه تدريجيًّا فانطلق منه صريرٌ عالٍ، فابتعدت جانبًا ... مضت لحظات ثم ظهر رجلٌ بيده بطارية أخذ يُطلقها يمينًا ويسارًا، وفي لحظة كانت «إلهام» قد طارت في الهواء، وهبطت على الرجل بضربةٍ مُوجعةٍ، سقط على إثرها على الأرض دون أن ينطق بحرف ... بينما أسرعت «ريما» إلى الباب واجتازته وهي ترفع مُسدسها.

# الهدف ... خمسون مليونًا

اجتازت «إلهام» باب المقبرة الكبيرِ، وكم كانت دهشتها عندما وجدت أن الباب ليس إلا بداية شارعٍ كبيرٍ لا يمكن توقُّعه ... ولكن بدلًا من أن يكون هذا الشارع على سطح الأرض ككل الشوارع، كان يغوص في الأرض، أشبه ما يكون بنفقٍ تحت القبور، وعلى الجانبين كانت هناك أبوابٌ مغلقةٌ لا أحد يدري ما خلفَها، ثم رأت إلى اليسار بابًا مفتوحًا يؤدِّي إلى هيكل مقبرة ... وعلى ضوء البطارية كان الشاهد الرخامي مكتوبًا عليه «سيد سنقر»، وعرفت على الفور أن اسم المرحوم يُستخدم كستارٍ للأعمال المُريبة التي تمارسها العصابة؛ الأعمال التي لا يعرفون عنها حتى هذه اللحظة أي شيء.

لحقت «ريما» بـ «إلهام» بعد لحظاتٍ، وكان الاتفاق بينهما أن تَمشِيا بنظامٍ مُعين ... «إلهام» تسبق و«ريما» من بعيدٍ حتى لا تقعا في كمينٍ واحدٍ.

بعد لحظات توقفت «إلهام» عند مشهدٍ من أغرب ما رأت، فعند أحد المُنحنيات أطلَّت برأسها لترى عشرة موائد كبيرة قد صُنعت بطريقةٍ معينة، وقد تكوَّم عليها مئات من رزم الورق الأبيض، وفي الوسط تمامًا كانت هناك ماكينةٌ متوقفة عن العمل، ورجلان يقِفان أمام مجموعةٍ من البراميل الصغيرة التي لوَّثتها الأحبار الحمراء والخضراء والزرقاء.

كان أحد الرجلين يتحدَّث إلى الآخر قائلًا: لقد تعطَّلنا ساعتين ... الوقت ضيقٌ ولم يأتِ المهندس الذي سيتولى إصلاح الآلة.

الآخر: لقد اتصلتُ الآن بالزعيم ... وسوف يصل المهندس بعد لحظات.

الأول: تعالَ نشرب شيئًا لحين وصوله.

واختفى الرجلان خلف أحد الأبواب، وأشارت «إلهام» إلى «ريما» وتقدمتا مُسرعتَين إلى الآلة، وفحصتها «إلهام» بسرعةٍ ثم قالت هامسة: آلة طباعة؟!

ريما: تزييف!

وانتقلت الفتاتان إلى ما بعد الآلة، وكان أمامهما مشهد لا يُنسى ... كميات لا حصر لها من أوراق البنكنوت المصري من مُختلِف الفئات؛ أوراق من فئة العشرة جنيهات، والخمسة جنيهات ... أكوام من أوراق النقد لا تقلُّ عن بضعة ملايين ... جديدةٌ لامعة ... وتذكَّرت «إلهام» على الفور الورقة الصغيرة التي عثر عليها «عثمان» في يد الميت، تذكرت رقم الخمسين مليونًا، إذن فالخمسون مليونًا هي خمسون مليون جنيهٍ، ويا له من رقم!

سمِعَتا حركةً مفاجئة، فانحنتا بجوار الماكينة، ومرَّ شخصٌ يحمل بعض الطعام على صينية وكوبًا من الماء. ومن التجارب التي مرَّت بها الفتاتان عرفتا على الفور أن هذا الطعام ذاهبٌ إلى سجين، وعرفت «إلهام» أنه لا بدَّ أن يكون «أحمد» أو «عثمان».

ومشت «إلهام» خلف الرجل في خفة القط، وخلفها «ريما» بالمسدس في يدها، وسرعان ما وقف الرجل أمام بابٍ مغلقٍ، ومدَّ يده بمفتاح الباب، ثم دخل ... وفي ثلاث قفزاتٍ سريعةٍ كانت «إلهام» خلفه، دخلت ورأت على ضوء لمبةٍ خفيف «عثمان» وهو مُلقًى على الأرض، والرجل مُنحنٍ ليضع له الطعام، فانقضت «إلهام» كالصاعقة، وبضربةٍ مُحكمة ارتمى الرجل على الأرض، ودون كلمة واحدة أخذت «إلهام» تفكُّ قيود «عثمان». وابتسم الشيطان الأسمر في الظلام، ومدَّ يده فتناول كوب الماء فتجرعه، ثم قال: أين «أحمد»؟

إلهام: ألم تره؟

عثمان: لا.

إلهام: لقد خرج في الصباح ولم يعد ...

عثمان: من معك؟

إلهام: ريما ... إنها تقف عند الباب للمراقبة.

قام «عثمان» وخرج مع «إلهام» وهو يتمطَّى، كان قد نام طويلًا، وأحسَّ بأنه يستطيع أن يضرب عشرة رجالٍ ... وأشارت له «إلهام» فتبعها حتى وصلا إلى تلِّ النقود وعندما رآها «عثمان» كاد يطلق صيحة دهشةٍ وقال: الخمسون مليونًا!

إلهام: «بالضبط ... إنها أكبر عملية تزييف في التاريخ ... ولكن كيف كانوا سيصرفون هذا المبلغ؟

عثمان: لا أدري ... ولكن سنعرف كل شيءٍ بعد قليلٍ.

وسمعا صوت أقدامٍ مقبلةٍ، واختفيا خلف الماكينة من ناحية، و«ريما» من الناحية الثانية. وكم كانت دهشة الثلاثة عندما ظهر «أحمد» يمشي مُقيَّد اليدَين ومُكمَّم الفم ومعصوب العينين، وخلفه رجلان.

اقترب الثلاثة من الماكينة وقال أحدهم للآخر: اذهب به إلى غرفة مجاورة لزميله، سوف يتم القضاء عليهما بالدفن تحت الأرض بعد أن ننتهيَ من الكمية كلها، ولم يبقَ إلَّا ثلاث ساعات من العمل تقريبا.

أحسَّ «عثمان» بالأسف أن كرته الجهنمية ليست معه، كان من المُمكن أن يصطاد الآن أحد الرَّجُلين ببساطةٍ ... وكأنما كانت «إلهام» تقرأ أفكاره، فقد مدَّت إليه يدها بالكرة التي كانت تحمِلها مُعلقةً في حزامها.

أمسك «عثمان» بالكرة وهزَّها في يده ثم أرسلها كالرصاصة، فمضت حتى ارتطمت برأس الرجل الأول، فسقط على الأرض دون أن ينطق بآهةٍ واحدةٍ، وبدا الذهول على وجه الرجل الثاني وأخذ ينظر حوله، وقبل أن يُدرك ما حدث كان «عثمان» قد لفَّ حول الماكينة وانقض عليه كالصاروخ ورفعه بين يدَيه ثُم ضربه في الماكينة، فسقط متهدلًا كأنه قطعةٌ قديمة من القماش.

في نفس الوقت كانت «إلهام» قد أسرعت إلى «أحمد» وفكَّت وثاقه، ولم يكد «أحمد» يفتح عينيه، وينظر حوله حتى بدت الدهشة على وجهه: وقال «عثمان» مُشيرًا إلى تلال النقود: أكبر عملية تزييف في التاريخ.

خبط «أحمد» رأسه بيدَيه، وقال: الآن فهمت.

ولكن قبل أن يُكمل جُملته ظهر رجلٌ من باب جانبي، ونظر إلى الأربعة ثم صاح بأعلى صوته: النجدة ...

على الفور ظهرت بضع رءوس من الأبواب الجانبية، وانطلق مسدس «ريما» بنظامٍ مُحكم ... ولكن عدد الرجال تزايد، وانكمش الشياطين الأربعة خلف أحد الأبواب، ثم أخرجت «إلهام» أصبعًا صغيرًا من الديناميت ألقته في وسط الرجال، فانفجر مُحدثًا دويًّا خفيفًا، وسقط رجلان، ولجأ الآخرون إلى الأبواب يختبئون خلفها. وأشار «أحمد» للشياطين بالإسراع في الخروج وقال لـ «إلهام»: هل معكِ متفجرات أخرى؟

أمسك «أحمد» بمجموعة من أصابع الديناميت ثم ألقاها دفعةً واحدة وهم يتراجعون، وارتفع الدخان في المقبرة الكبيرة، وانهارت الأسقُف وارتفعت ألسنة الدخان والتراب، ثم أغلق «أحمد» الباب الرئيسي للدهليز، وقال: هيَّا بنا ... إن زعيم العصابة وبقية الرجال خلف شارع «الشريفين».

عثمان: أليس هذا الشارع قرب «البنك الأهلي»؟

أحمد: نعم، «البنك الأهلي» و«البنك المركزي»، لقد فهمت الآن كل شيءٍ.

خرج الأربعة إلى الهواء الطلق، وقفزوا إلى السيارة «البورش» التي انطلقت بهم في الظلام يقودها «أحمد». ولم تمضِ نصف ساعة حتى كانوا قد دخلوا الشارع الضيق، وركن «أحمد» السيارة ووقف للحظاتٍ، ثم قال: سأقوم أنا و«عثمان» بالدخول أولًا ... سنعتمِد على عنصر المفاجأة، هل معكما أسلحة؟

إلهام: نعم. معنا مجموعة من مختلف الأسلحة الصغيرة.

أحمد: ادخلي بعدَنا بخمس دقائق ... عليك يا «ريما» باستخدام الديناميت في نَسف المكان إذا لم نخرج بعد ربع ساعة.

نزل «أحمد» و«عثمان». بواسطة أداةٍ صغيرةٍ، فتح «أحمد» بها باب متجر التُّحف الذي دخله هذا الصباح، ثم دخل بهدوءٍ ... كان يعرف طريقه، وكان يحمل مدفعًا رشاشًا صغيرًا ... وعندما التقى بأول رجلٍ من العصابة، كانت الدهشة كافية؛ لتجعل الرجل يقف فاتحًا فمه كأنه يرى الشيطان؛ فمنذ ساعةٍ واحدةٍ كان هذا الشاب الذي يحمل المدفع قد خرج معصوب العينين واليدين، وها هو يعود.

واكتفى «عثمان» بأن وضع شريطًا لاصقًا على فم الرجل وقيَّده وألقاه جانبًا ... ثم اقتحم «أحمد» الغرفة الكبيرة التي تُشبه الغوَّاصة، وكان بها ثلاثة رجال، الزعيم ورجلان معه.

وقال «أحمد»: أرجو ألَّا يحاول أحد منكم أن يتصرف بغباءٍ، سأطلق النار فورًا.

قال الرجل السمين: إن في إمكاني أن أقول لك شيئًا.

أحمد: لن تقول أي شيءٍ ... لقد فهمتُ ماذا تريدون، ولم تعُد عصابتكم هذه المرة تقوم بعمل بلا أدلةٍ؛ لقد حصلنا على الأدلة ... كانت خُطَّتكم سرقة أموال الدولة من خزائنها، ووضع نقودٍ مُزيفةٍ مكانها، خمسين مليونًا من الجنيهات ... وكان هذا يكفي لانهيار الاقتصاد الوطني أليس كذلك؟

لم يستطع واحد من الثلاثة الرد، ومضى «أحمد» يقول: كنتم ستقومون باستبدال النقود الليلة؛ فغدًا إجازة العيد ومُدتها يومان.

وسكت «أحمد» ليلتقط أنفاسه، ثم قال: «عثمان» ... اطلب «أ. ش. س» بالتليفون، وقُل له أن يرسل قوةً من رجال الشرطة للقبض على هؤلاء.

أسرع «عثمان» يتَّصِل بعميل رقم «صفر» وأمسكت «إلهام» بالمدفع الرشاش، بينما قام «أحمد» بشد وثاق الرجال الثلاثة.

بعد أقل من ربع ساعة كان الشياطين الأربعة ينسحبون في جانبٍ من شارع «الشريفين» الضيق، ويراقبون قوات الشرطة وهي تجتاح الغرفة السرية تحت الأرض حيث كانت العصابة تحفر نفقًا تحت البنك المركزي للوصول إلى خزائنه.

بعد ساعةٍ من هذه الأحداث كان رقم «صفر» يتلقَّى التقرير التالي:

**من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر»**

«اتضح أن الهدف ليس «لا شيء»، ولكن الهدف ضرب الاقتصاد المصري ... تَمَّ القبض على العصابة وعلى الخمسين مليونًا من الجنيهات المُزيفة ... سنُرسل تقريرًا أطول غدًا؛ فإننا في أشدِّ الحاجة إلى الراحة.»

«ش. ك. س»

هنـــداوي